الزواج والأبوية [1]

الزواج هو انتخاب الرفيق الذي يجعل الحياة سعيدة ويتم اسباب راحتها بحيث يصبح الزوج والزوجة ابوين لاولاد اطهار انقياء. اذ يكونون لهما اعظم تسلية واكبر عونٍ من هذه الحياة

ولا بد للرجل والمرأة من ان يتطرقا الى الكمال والفضيلة. اذ يجب على الرجل ان يحرز اولاً آمالاً سامية وصفات عالية ويتلو ذلك المعرفة ـ والمقصود بها معرفة ناموس الحياة وما هي حياة الزوج في جميع اطوارها . وما هي الوسائل الموصلة اليها والعثرات التي تكتنفها ـ فان الرجال الذين يعرفون ماهية المرأة قليلون كما ان النساء اللاتي يدركنَ قيمة الرجل اقل ومع كل ذلك فلا ينبغي ان يتزوج الرجل والمرأة الا اذا وقف كل منهما على تاريخ حياة الاخر ودرسها جيداً فعرف بعض طباعه ان لم تكن كلها . وما اسعد حياة يمتزج فيها الاثنان بالعواطف امتزاج الماء بالراح . بل ما اشقى حياة لا يتفق فيها الزوجان !

ولكي يعرف الانسان ماهي الحياة الحقيقية عليه ان يكون عالي المدارك لا تنصرف افكاره الى الامور الدنيئة حتى يقدر على تخفيف متاعبها فتتحول الى سعادة وهناء . ولا يكدر صفو عيشهما شقاء

كما ان اول واجب على الشاب ان يكون شريف النبال كريم النفس . وقد سمعت سيدة تصف زوجها بانه الرجل الوحيد الذي يستحق ان يدعى

(١) معربة بقلم حضرة الفاضل حنين افندي بادير .

« اباً » لاولادها . وقد لا يوجد شعور ارفع من ذلك لان كل امرأة تود (اذا قدر لها) ان تكون « اماً » لاولاد ابرياء ولا يتحقق لها ذلك الا اذا كان لهم اباً طاهراً شريفاً

وهكذا يجب ان يكون شعور الرجل نحو امرأته فاذا كان يطلب زوجة اهلاً لان تكون اماً عفوفة طاهرة المأذر محبة لاولاد ذات عقل سام لينة العريكة طيبة القلب نقية الفكر فلابد له اذاً ان يتصف بهذه الخصال حتى يحصل عليها اذ كيف يقدم على طلب امرأة هذه صفاتها لتعيش معه ويصيران جسداً واحداً وهو خلو منها

١ً تناسب المساعدة

« وقال الرب الاله ليس جيداً ان يكون آدم وحده . فاصنع له معيناً وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة »

فلمَ هذه المعاونة ؟

ألتنفيذ ارادة الرجل ؟ ألتعينه كما يعينه الخادم او العبد الرق ؟ ألتطيع رغائبه وأمياله ؟ ألكي لا يكون لها آراء خصوصية ؟ ألكي تمحى صفاتها الطبيعية وتجعل نفسها قابلة لان تتشكل حسب أمياله . وان نجد السلوى الوحيدة من تأدية ما آربه ومطلبه ؟ فهل هذا هو المقصود بالمعاونة ؟ كلا ثم كلا .

نعم أنهم ما زالوا يفسرونها بهذا المعنى . غير ان الشرائع البشرية قد اجمعت على أن المقصود بخلقتهما المساعدة فتعينه على الحياة وتنفيذ مشيئة

خالقهما مستمدين . فعلى الرجل ان يسعى واياها لمعرفة السر الالهي المقصود من ارتباطهما وجعلهما يتعاونان على البر والتقوى . حتى بذلك يقهران مطامحهما الذاتية وكبريائهما العتيد . فيسمعان ويطيعان هذه الآية الذهبية « خذا هذا الطفل وربياه حتى ادفع لكما اجركما » . فهذه هي غبطة الزواج وكلما قل عن ذلك فهو عدم ائتلاف بل محبة متناهية للنفس . بيد ان المحبة الحقيقية هي انكار الذات بدليل ان البحث المخلص يتخلى عن كل منفعة شخصية اذا رأى من ذلك ما يحفظ سعادة وراحة حبيبه . والمولى سبحانه يأمرنا بتقديم المحبة قرباناً على مذبح الطاعة عند ما نتقدم لقبول اسرار الزواج

فالزوجان ينالان جزاء كبح جموح النفس وتدريبها على الفضيلة وتبادل المساعدة حينما يلبيان النداء للدخول الى المملكة المقدسة مملكة

٢ الابوين

فعند ذلك يدرك الانسان متاعب هذه الحياة ويشعر بالمسؤولية التي تقع عليه فينظر الى ما وراءه من الدرجات التي ارتقاها ويعلم أنه ارتفع ارتفاعاً بيناً . فتستفزه عواطفه الى الاقدام والشجاعة لاكتساب قوة الارادة وقمع شهوات النفس

وقد أبدى الدكتور ونسلو (Winslow) بعض ملاحظات على جانب عظيم من الاهمية اذ قال :

« وجّه كل مقاصدك نحو عمل واحد . فأن العمل الذي يستغرقه كل انتباهك تندفع اليه بعامل الرغبة الشديدة . ويستريح اليه ضميرك . فاذا

سلمنا بذلك فأن مخافة الله وتأدية واجب الاحترام نحو الآخرين مما يورث النفس سعادة أبدية لا يمكن للسابح في بحار اهوائه والمندفع مع تيار ملاهيه ان يحصل عليها . اذ ان هذا المنهج يهب صحة للضعفاء . ويورث الاقوياء سعادة وبهجة وقوة لمعرفة الحياة وادراك غوامضها

« ولما كان عامل الشوق الى النسل داعياً الى زيادة هذا الميل عند الانسان . فالزوجان اذا عاشا خائفين الله وعاملين حسب اوامره . فانهما يجمعان ثروة من هذا العالم لا يقدرها البشر اذ يجدان ضمائر وعقولا نقية واجساداً ممتعة بالصحة صالحة لان تكون ينبوع ذلك السرور — ان جزاءهما جزاء من يلقي بذوره في ارض جيدة التربة فيجذبان ثمرة تعبهما اذ يرسل الله لهما رسول السلام والفرح . فيأتيان بمولود يكون سبب سعادتهما من الحياة فينسى الوالد جهاده في هذا العيش وتنسى الأم متاعب الحمل وآلام الولادة اذ المقصود ان تكون الاولاد مثال المحبة والطهارة »

٣ التربية قبل الولادة

كان لهذه التربية اليد الطولى في تحسين اخلاق النوع البشري . وينتظر ان تأتي بنتائج اعظم واجل قدراً وما زالت العناية مصروفة لدرس هذا الموضوع اذ اصبح الناس ميالين ليس فقط لحفظ مبادئه بل للوصول الى حقائقه الخاصة بالواجب الأبوي

وقد قال الدكتور ونسلو

« ليست الحياة هي ما يحيط بالانسان من المشاغل والملاهي بل هي

العزيمة والشجاعة والصبر التي تقابل بها المصائب والتجارب التي ندخلها بسبب الجهل المخيم على عقولنا والبتضاء ومحبة النفس التي تتموجراثيمها في افئدتنا

« فالامهات يحتجن الى قوة الارادة واستعمال اللين والشدة كل منهما في حينه .

« وقد قالت لي احدى الامهات مرةً : (توجد بعض النظريات التي لا يمكني تقييدها بالحقائق المدركة . فاني لما كنت حاملاً بولدي « شارلي » كانت اشغالنا في كساد عظيم . ولما كان محل اشتغال زوجي قد انشأه جدّه . وكان تقدمه باهراً على يدي مؤسسه وابي زوجي فان سقوطه على يدينا كان مسؤلية عظمى يشعر بثقلها كلانا . وقبل ذلك بزمن يسير اشترينا منزلاً جديداً فكنا ننتظر من لحظة لاخرى ضياعه وسقوطنا في هوة الافلاس . غير أن الطفل شارلي جاء اشجع اخوته . محباً للمزح . بشوش الوجه . باسم الثغر — فعلى أي شيء تسند ذلك ؟) فسألتها ، وهل كنت تبكين وتنوحين لحلول هذه المصائب ؟ فقالت لا . كنت مضطرة للظهور امام زوجي بمظهر الصبر والشجاعة لأعزيه واهيئه لمصادمة تلك الصاعقة . فكنت اوصل حبال الآمال . واعلل النفس بالمحال . واستعمل كل عزيمة لتسليته وتخفيف هذا الخطب الجسيم عنه — فقلت لها : هذا جزاؤك . فان تلك القوى المادية والادبية التي كنت تتحلين بها امام زوجك قد انتقلت الى ولدك لكي يعيش متصفاً بها طول حياته . وتمتع بذلك الدرس الذي تلقاه منك قبل خروجه الى عالم النور »

على أن القراء الذين يهمهم البحث فى هذا الموضوع سوف يسرون مما ننقله لهم عن كتاب نيوتن عن التربية قبل الولادة : —

« ان الطبيعة البشرية — خلافاً لسائر الحيوانات يمكنها ان تتحول الى مخلوقات روحانية . وذلك لوجود البذور الاصلية فينا من البدء . وانما تحتاج الى فلاحة وتربية حتى تنمو كالجسد . فان تم لها ذلك فاننا نولد مرة ثانية اذ تتجدد فينا الحياة . فتنتقل افكارنا وضمائرنا الى الخوض في عالم اعلى وارقى مما نلهو به الآن

« ومن فضائل هذا الادراك الروحي مراعاة حقوق الآخرين — بدلاً من محبة النفس — او بعبارة اخرى تولد المحبة العمومية . اذ نكون عاملين حسب الروح وليس حسب الجسد فنتغلب على جميع الشرور والقبائح البهيمية ومحبة النفس فتزيلها . « وليس من الصعب علينا الوصول الى انكار الذات والخضوع لارادة الله العلي . اذ أنه قادر ان يثبت فينا ويؤهلنا الى ما فيه خيرنا » (ستأتي البقية)

الفصل الثالث

« الام والفتاة » (تابع ما قبله)

قبل ان استلفت نظر الام وحنانها الى فتاتها اريد ان افهم تلك الفتاة نظراً لمصلحتها وفائدتها ما هو مقدار الأم وما هي مكانتها ؟ وما كان يردى وأيم الحق ان احاول ذلك الا ان حب الذات والطيش وعدم التبصر تتغلب على الفتاة حتى يلتزم الانسان ان يرشدها الى الخير ليتحرك قلبها